وأما من يصرحون أن شعبنا تعب فهم حفنة من أصحاب المصالح السياسية أو الاقتصادية، حفنة قليلة، أما الشعب الصابر فهو مستعد للتضحية بكل غالٍ وثمين من أجل عزته وكرامته ومقدساته.

شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره يلبس زياً عسكرياً مرقطاً، ويضع على رأسه قبعة خضراء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، كتائب الشهيد عز الدين القسام يحمل بندقيته، ويعلق على وسطه عدداً من القنابل اليدوية، فينزل من السيارة، ويدفع باب دار "أبو نضال" في الشجاعية، داخلاً لوسط الدار، فتقفز أم نضال قائلة: ولدي الحبيب محمد ما هذا يا ولدي؟ يبتسم الفتى قائلاً: سأذهب في عملية استشهادية يا أماه، تصمت الأم للحظات، فيقول محمد هل تذكرين يا أماه هذه الزيتونة؟ ويشير إلى الزيتونة التي استشهد تحتها عماد قبل سنوات هل تذكرينها يا أماه؟ هل تذكرين عماد؟ وهل تذكرين كم أحببنا ثمرها لأنه امتزج بروح عماد؟ هل تذكرين كيف ربيتمونا على حب فلسطين والقدس والجهاد والتضحية؟ الآن جاء الموعد يا أماه، فلقد رأيت نفسي أقتحم عليهم موقعهم، أقتلهم كالنعاج ثم استشهد، ورأيتني بين يدي رسول الله ﷺ في جنات النعيم، وهو يهتف بي مرحى بك يا محمد مرحى بك.

ترقرق الدمع في عيني الأم، ومدت يدها إلى طرف منديلها تمسح دمعها قبل أن ينحدر على وجنتيها، وهي تقول: وفقك الله يا ولدي، وفقك الله وسدد مراميك، ثم احتضنته تقبله وتقبل يديه ورأسه وبندقيته، وهي توصيه إذا اقتحمت فلا تتردد ولا تلتفت للوراء يا ولدي ولا يأخذك بهم رأفة في دين الله يا حبيبي، وإلى اللقاء في جنة الخلد عند الحبيب المصطفى ﷺإلى اللقاء يا فلذة كبدي ومهجة فؤادي إلى اللقاء، يقبل محمد رأسها ثم ينحني يقبل يدها، وينطلق وهو يقول ابقي الهاتف النقال (البلفون) مفتوحاً إلى جوارك فسأودعك الوداع الأخير من هناك وينطلق وتجلس أم نضال على سجادة صلاتها، تدعو الله من أعماق قلبها لولدها بالتوفيق والقبول.

يجتاز محمد الأسلاك الشائكة حول مستوطنة عتصيون، ويزحف متقدماً نحو المعهد الديني العسكري فيها يفتح جهاز اتصاله ويضغط على أحد أزراره، فتلتقف أم نضال الجهاز من جوارها، قائلة إنها هنا يا مهجة الفؤاد، فيأتيها صوته هادئاً واثقاً، أنا هنا يا أماه، لقد وصلت هدفي يا غالية، وداعاً يا أماه وإلى اللقاء في جنات النعيم، وداعاً يا حبيبتي، سأبقي الجهاز مفتوحاً لتسمعي صوت المعركة، يضع الجهاز على حزامه مفتوحاً، ويتقدم مقتحماً المبنى، وهو يصرخ الله أكبر خرجت خيبر، ويلقي بقنابله واحدة تلو الأخرى، ثم يقتحم الباب للقاعة الرئيسية وهو يطلق الرصاص، وأم نضال تتمتم وهي